مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.28 (NO. 117) 2022, pp. 387-398

المعادل الموضوعيّ في شعر أحمد مطر

م. د. سليم قاسم زعيج الحريشاوي
وزارة التربية، مديرية التربية، الرصافة 3
دكتوراه لغة عربية، الأدب ـ النقد الحديث
Saleempassim22@gmail.com
07700059352

المستخلص:
تتلخص دراستنا في إيضاح مفهوم مصطلح (المعادل الموضوعيّ) الذي اعتمده الشاعر (أحمد مطر) في شعره؛ للوصول إلى الدلالات التي أراد خلقها؛ مكونةً صورة مقابلة للواقع من خلال أدواته التي أفاد منها في خلق المعنى الذي يقدمه المعادل الموضوعي، واشتمل المعادل الموضوعي على (التناصّ القرآني، والموازنة، والصورة الشعرية، والتشبيه، والمقارنة) .

الكلمات المفتاحية: المعادل الموضوعي، المفارقة، التناص .

المقدمة :

يَسْعى هذا البحث إلى تقديم قراءة موجزة في المعادل الموضوعيّ الذي اعتمده الشاعر أحمد مطر في شعره، وأوجد بوساطته دلالات توازي دلالة الاستعارة والتشبيه، وأسهمتْ في خلقِ صورٍ جديدة مبتكرة في الشعر الحديث . وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الشاعر يبحث عن السبق في خلق الصورة، وبوجود المعادل الموضوعي استطاع أحمد مطر الوصول إلى المعاني التي أراد خلقها؛ لتكون صورة مقابلة لأحداث قد لا يؤثر وصفها المباشر على المتلقي كتأثير المعادل الموضوعيّ، فكان التناصّ القرآني من أبرز أدواته التي أفاد منها في خلق المعنى الذي يقدمه المعادل الموضوعي دالاً على معانٍ أخرى غير تلك الظاهرة، ثمّ أوجد بموازنةٍ مقابلة للصورة الحقيقية المُراد وصفها، ثمَّ أوجد صورًا شعرية تارة تكون مستقلة، وتارةً أخرى أخذت دورها في تشبيهٍ مغايرٍ عن ذلك النوع الذي عرفته البلاغة، إذ ابتعد الشاعر في كثير منه عن الإيجاز مؤكدًا على التأثير بتعدّد أوجه الشبه تارةً، وبتأكيده تارةً أخرى، وعلى هذا النحو جاء البحث مفصلاً – بعد التعريف بالمعادل الموضوعيّ الذي بدأ رأيًا فتطور؛ ليصبحَ إحدى النظريات المعتدّ بها في مجالِ الأدب العربي والغربي، واشتمل المعادل الموضوعيّ على (التناصّ القرآني، والموازنة، والصورة الشعرية، والتشبيه، والمقارنة)، معنيًا بما جاء عن الشاعر مؤكدًا على أنواع مختلفة من الأمثلة .

المعادل الموضوعيّ:

من المصطلحات التي تتصف بالحداثة مصطلح المعادل الموضوعي (Objectivecorrelative)، وقد عُرِفَ مع (توماس اليوت) الشاعر الناقد، وكان جزءًا من آرائه وأصبحت فيما بعد نظرية معتمدة تمثل الطريق للتعبير عن الانفعالات في صورة فنية، إذ يمكن التعبير عن الانفعالات بوساطة العثور على مجموعة أشياء تعبر عن موقف أو سلسلة من الأحداث لتكون الصيغة الفنية التي تستثير العاطفة[1]. والمعادل الموضوعيّ يختلف عن المعادل البصري، إذ ينتمي الأخير إلى حقل الفنّ السينمائي المتعلق بالمشهد البصري المرئي مباشرةً، في حين ينتمي المعادل الموضوعي إلى الأدب بوصفه مماثلاً للشعور أو إلى التجربة الشعرية[2]. ويمكن إيجاز الفرق بينهما بأنَّ المعادل الصوريّ مشتق من المعادل الموضوعي، وأنَّ العلاقة بينهما علاقة الجزء من الكل، ويمكن القول: إنَّ وسيلة المعادل الموضوعي هي اللغة للتعبير عن الانفعالات، في حين يتعلق المعادل البصريّ

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.28 (NO. 117) 2022, pp. 387-398

بالمادة التعبيرية للمادة المرئية، فالمعادل الموضوعي "يتحدث عن وقائع وأحداث، ويصف موضوعات تكون معادلاً لإحساس الكاتب وشعوره، وليس الأمر كذلك بالنسبة للمعادل البصري فقد يتضمن المرئي معادلات للشعور وغيره، لأنَّ الحقل الذي يشتغل عليه أعمّ وأشمل، إذ يستند المعادل البصري إلى اللغة الإنسانية، زيادة على سيمياء المشهد"[3].

1– التناصّ القرآني:

"إنّ التناص في صورتِهِ النصيّة في المنجزِ الشعريّ يُشكّلُ علاقةَ خطابٍ أدبيّ وفكريّ، يتعالق ويتقاطع مع خطابٍ آخر، وإنَّ الدراسة النقدية في هذه الحالة معنيةٌ بشكلٍ أو بآخر بتفكيك خطاب الآخر، وتمييزِهِ بشكلٍ أكثر وضوحاً ودقّة، لكي نستجلي حدودَ العلاقةِ بينَ النصِّ الحاضرِ والنصِّ الغائب، مُدركين أنَّ ثمَّةَ علاقة داخلية دينامية بينَ الخِطابيْنِ"[4].

ومما لاشكّ فيه أنّ القراءة النقديةَ الواعية للنصوص، هي التي تكشف طبيعة العلاقة بين النصّ الحاضر والنصّ الغائب، وهل انّ الأديب وظَّفَ النصَّ الغائب توظيفًا يتساوق مع طبيعة تجربة النصّ الحاضر؟، إذ إنّ القراءة الواعية والمتأنية هي التي تكتشف انّ وراء النصّ شيء آخر خفيّ[5].

ولِمن يطّلع على الأعمال الكاملة لأحمد مطر يلحظ أنَّ القرآن الكريم كان من أهم ينابيع الثقافة التي استقى منها الشاعر ثقافته وثورته، وهو تناصّ مع كلمات يجد في بعض منها معادلاً موضوعياً مناسباً يؤدي الغرض المراد منه، ويعمل على بيان دلالة معينة يريدها الشاعر؛ ليكتفي بوجودها للتعبير عن جمل كثيرة يمكن إيجازها بوجود هذا المعادل، إذ يجد القارئ مساحة كبيرة معبرة في القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك قوله:[6]

ألقِهِ أفعى، إلى أفئدة الحكّامِ تسعى
وأفلِقِ البحرَ، وأطبقه على نحرِ الأساطيل
وأعناقِ المساطيل، وظهر من بقاياهم قذارات الزَّبَد
إنَّ فرعون طغى يا أيها الشعر، فأيقظ مَنْ رقَد، قُلْ هو الله أحد .

استحضر الشاعر شاهدًا من أبرز الشواهد الممتدة امتداد الزمان، من قصة النبي موسى (عليه السلام) مع فرعون، فقد أشار في قوله (ألقِهِ أفعى) إلى قوله تعالى: (وألقِ ما في يمينك تلقفُ ما صنعوا إنّما صنعوا كيد ساحرٍ ولا يُفلِحُ الساحرُ حيث أتى)[7]؛ ليبين أنَّ الحال التي همّ عليها بحاجة ملحة إلى معجزة، أو قد يكون هذا المعنى دعوة لتحريض الأمة للوقف بوجه الظلم، على الرغم من جبروته، وفي قوله (وأفلق البحر) إشارة إلى قوله تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)[8]، وهنا تمّم القول بالنتيجة التي كان يتمنى حدوثها، وفي قوله: (إنَّ فرعونَ طغى) تناص مع قوله تعالى: (اذهبا إلى فرعون إنَّه طغى)[9]، ليؤكد طغيان الحكام الذين اصبحوا بمصاف طغيان فرعون، ثُم ختم بقوله تعالى: (قُلْ هو الله أحد)[10]؛ ليؤكد وحدانية الله لمن كان تبعًا للطغاة، ويذكر أنَّ الغلبة لله بعد أن جعل من أحداث النبي موسى (عليه السلام) مع الطاغية فرعون شاهدًا ومعادلاً موضوعياً لما يريد قوله، فوظيفة الشاعر "نقل الشعر لمشاعر سياق الحياة الواقعي، والتعبير عن مساق وحجم التنبيه الإدراكي القائم في لحظة من الوعي، يتطلب أشد أنواع التركيز، والتكثيف الصارم"[11] . ولا شك أنَّ بعض أسماء الأعلام تمثل معادلاً موضوعياً بما تعلق بها من أحداث، ففرعون - على سبيل المثال – يُمثّلُ مُعادلاً موضوعياً للدلالة على الظلم والجبروت، وللقتل والهَتْك، بما تحمله دلالة هذا الاسم من صورةٍ كاملةٍ لما حدث في زمن من أزمنة الإلحاد والشرك، فذكره يدعو إلى حضور تفاصيل معروفة لكثير من الناس، تكفي الشاعر مؤونة ذكرها وتفصيلها، وفي إشارة أخرى للقصص القرآني ذكر الشاعر أحمد مطر (قابيل وهابيل) في قوله[12]:

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.28 (NO. 117) 2022, pp. 387-398

أمرنا مختصرٌ جداً، ولا يحتمل الشرحَ الطويل:
غُمَّةٌ تنطحُ غَمَّا، وَرَذيلٍ يَبْتَغي تَسليب سَلابٍ رَذيل ..
وعلى مفترق الصفين طفلٌ، ليس في القصةِ قابيل وهابيل
لكي تنأى عَن الوَغد وتَنْحازَ إلى صفّ النبيل .

فقد عرض الشاعر قصة (قابيل وهابيل) التي وردت في قوله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[13]، قاصدًا الصراع بين الباطل والباطل نافياً وجود الحق بنفيه لوجود قابيل وهابيل، وهما – لا شكّ – اسمان يرمزان لحدث معروف ويمثلان أوّل صراع بين الحق والباطل كما أنهما يمكن أن يرمزا لأوّل جريمة حدثت في تأريخ العالم، أمّا الحق فكان يتمثل بمعادل موضوعي آخر خارج عن اقتباساته القرآنية ألا وهو الطفل المستهدف رأسه حيث يميل، وقد أراد الشاعر خلق معادل موضوعي يهدف الى أنَّ الصراع بين الباطل والباطل وأثره فيهم لا يُمكّنهم من اختيار أحدهما ولا يمكن الخلاص منهما، وهم بضعف ذلك الطفل وبراءته .

وفي تعالق نصيّ آخر جاء به الشاعر على لسان الظالم في قوله[14]:

يا مَنْ غدوتم في يديَّ كالدمى وكاللعب
نعم .. أنا السبب في كل ما جرى لكم
فلتشموني في الفضائيات في كل ما جرى لكم .
فلتشتموني في الفضائيات، إنْ أردتم، والخطب
وادعوا في صلاتكم ورددوا (تبت يداه مثلما تبت يدا أبي لهب) .

وهو بهذا التعالق النصيّ يُشيرُ إلى شخصية تاريخية ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ)[15]، بهذه الصورة من اللعن، صور لنا الشاعر مستوى قبح الظالم وجرأته على الحق، إذ وصل به الأمر إلى أن يدعو الناس إلى الدعاء عليه وأن يتشبه بعدو من أعداء الله وهو بذلك يضمن في قصيدته معادلاً موضوعياً قرآنياً تاريخياً يوجز فيه شرحاً مطولاً لشخصية الظالم . وفي إشارة أخرى إلى آيات القرآن الكريم، قال الشاعر[16]:

ولم يُلقِ العدا في البحر، ألقى دمانا وامتطى البحرا
فسبحانَ الذي أسرى، بعبد الذات من صبرا إلى مصرا
وما أسرى به للضفة الأخرى .

وهنا يأتي المعادل الموضوعي بصيغة مغايرة أو معاكسة للمعنى الذي أشارَ اليه الشاعر؛ لأنَّه يتحدث عن عبد الذات الذي خالف النبي موسى (عليه السلام)، وذلك في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ)[17]، إذ فضل عبد الذات مصالحه على المصلحة العامة، فتقاعس عن النصر، وقد جاءت هذه القصيدة للذم الذي دعا الشاعر إلى إيجاد معادل موضوعي وظيفته التهكم . وللشاعر إشارات أخرى أخذت مناحيَ مختلفة، بعضها مثّل المفارقة، جمع فيها الشاعر بين الشيء وضده، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (يوسف في بئر البترول) فقد جمع بين الأخضر واليابس في قوله[18]:

سبعُ سنابلَ خضرٍ مِنْ أعوامي
تذوي يابسةً
في كفّ الأمل الدامي ....

وهو يشير في قوله هذا إلى (الرؤيا) التي رآها عزيز مصر والتي وردت في قوله تعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)[19] .

وقد كرر إشارته إلى قصة يوسف (عليه السلام) بقوله[20]:

يا صاحب سجني نبئني، ما رؤيا مأساتي هذي
فأنا في أوطان الخير، ممنوع منذ الميلاد من الأحلام
وأنا أسقي ربّي خمرًا بيدي اليمنى، واليسرى تتلقى أمراً بالإعدام

فقد أخذنا الشاعر في اقتباساته هذه إلى سورة يوسف وقول الباري عز وجل: (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)[21]، وهنا صور الشاعر حياته سجناً يسأل فيه عن مأساته التي كان يتمنى لو أنها غير حقيقية وقد وضع الخير والمنع في صورةٍ واحدةٍ .

2- الموازنة:

أوجد الشاعر أحمد مطر المعادل الموضوعيّ بطريقةِ الموازنة، فقد وضع الصورة أمام الصورة، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (الجزاء)، موظفًا التقابل بين صورةٍ أخذها من بلادِ المشركين وصورة أخرى من بلاد المسلمين، فوجد ذلك البون الشاسع بين الصورتين، صورة الناس في بلاد المسلمين الذين كان من المفترض بهم تطبيق تعاليم الدين الحنيف وما جاءت به السماء من عدم الركون الى الظالمين وقول كلمة الحق في وجههم، وصورة الناس بلاد المشركين الذين لا يجاملون على حساب حقوقهم؛ على الرغم من أنهم ليسوا مسلمين ولا يدينون بالدين الإسلامي، وبذلك أوجد الشاعر التضاد بصورته المركبة التي تدعو إلى التعجب والاستنكار، قال:[22]

في بلاد المشركين يبصق المرء بوجه الحاكمين
ولدينا نحن أصحاب اليمين يبصق المرء دماً تحت أيادي المخبرين
ويرى يوم القيامة عندما ينشر ماء الورد والهيل
بلا أذن، على وجه أمير المؤمنين .

إذ لا يتناسب أن يكون موقع الظلم في البلاد التي آمنت بخاتم النبيين واعتنقت الإسلام دين الرحمة ودين العدل، وقد دعا وجوده استحضار صورة أخرى وجعلها موضوعاً معادلاً لخلق مفارقة تضاد غريبة من بلاد المشركين، لعلها تتمكن من تنبيه الظالمين أو تنبيه الشعوب للخلاص من وطأة الظلم . وفي قصيدة أخرى وازن الشاعر مستعملاً أسلوب النفي، قال:[23]

يا جماعة لستُ كذّاباً
فما كان أبي حزباً
ولا أمي إذاعة
كل ما في الأمر أنّ العبد
صلّى مفرداً بالأمس في القدس
ولكن الجماعة سيصلون الجماعة

إذ وازن الشاعر بين الحق والباطل وبين الصدق والكذب، في ذكره لمعنيين مقدسين (الأب، والأم) أراد بوساطتهما أن يثبت أنَّ ما تتصف به الأم يُمثّلُ تضادًا مع ما تتصف به الإذاعة، وأنَّ ما

يتصف به الأب يمثل تضادًا مع ما تتصف به الإذاعة، وأنَّ ما يتصف به الأب يمثل تضادًا مع ما يتصف به الحزب وهو بهذه الموازنة ذمَّ وفضح الأحزاب والإذاعات التي تروج لهم بتوظيفه أداة النفي (ليس)، فالمعنى الذي أراده، هو: إنّ لي أبًا وأمًّا ربياني على الصدق، ولكم أحزابًا وإذاعاتٍ، علمتكم على الكذب والزيف، إلاّ أنّ المعنى المباشر لا يؤدي التأثير الذي أداه المعادل الموضوعي من خلال توظيف الموازنة .

3- الصورة الشعرية:

قد لا تعتمد الصورة الشعرية على ما تعارف عليه العرب من أساليب بلاغية من تشبيه واستعارة، إذا كان المراد منها الوضوح، لاسيما إذا كان الهدف التوبيخ والتحقير، إذ يمكن أن تكون مقابلة الصورة بالصورة أكثر بلاغةً، وأشد وقعاً في النفس، قال ابن الأثير: "تلك إذا مثلت الشيء بالشيء، فإنما يقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنَّك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس، خيالاً حسناً يدعو الى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالاً يدعو إلى التغيير عنها"[24] . وقد اعتمد أحمد مطر هذا الأسلوب في كثير من قصائده فكان حثيث السعي لإيجاد المعادل الموضوعي بصوره المتعددة المناسبة لإثارة المشاعر، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (درس)[25]

ساعة الرمل بلادٌ
لا تُحب الاستلاب
كلّما أفرغها الوقت من الروح
استعادت روحها بالانقلاب !

إذ نجد في هذه الصورة إشارة إلى بلدان العالم العربي التي استلبت في عصور متعددة، وما زالت مسلوبة الإرادة بسبب هيمنة الدول العظمى وسيطرتها، ومع ذلك تجدها خاضعة خانعة لا تنقلب كما تنقلب الساعة الرملية التي لا تحب الاستلاب لتعود ملؤها الكرامة والعزة، هذه الصورة أراد بها الشاعر تنبيه الأمة من أنّها مسلوبة، ماضيها أفضل من حاضرها، لعلها تعود لما كانت عليه وتنقلب على الظلم والطغيان الذي سلبها مجدها التليد .

وفي قصيدة (الجثة)، قال الشاعر[26] :

في مقلب القمامة، رأيتُ جثة لها ملامح الأعراب،
تجمعت من حولها النسور والذئاب، وفوقها علامة،
تقول هذه جثة كانت تسمى سابقاً كرامة .

فلا إهانة أكثر من هذه الإهانة التي أوجدها الشاعر بمعادله الموضوعي الذي وصف به حال الجثّة، وأراد بها حال الكرامة معرَّفة بأنَّ لها ملامح أعراب .

وقد أخذ أحمد مطر يُعدّد زوايا النظر لوصف أحوال الناس بوساطة إيجاد معادل موضوعي لائق لوصف هوانهم على الحاكم وهوانهم على السلطات التي أوصلتهم إلى ما يثير الاستغراب عند قراءة ما وصل إليها، وهو ليس ببعيد .

كلب وإلينا المعظم عضّني اليوم ومات
فدعاني حارس الأمن لأعدم عندما أثبت تقرير الوفاة
إنَّ كلب السيد الوالي تسمم[27]

وقد عكس الشاعر الصورة بمعادل موضوعي يمكن أن نسميه (معاكس المنطق)، إذ إنَّ من المتعارف أنَّ الإنسان هو الذي يمكن أن يصاب بالمرض إذا تعرض لعضة الكلب، والمقصود من هذا

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.28 (NO. 117) 2022, pp. 387-398

المعادل الموضوعي الظلم الذي لا يمكن أن يتقبله المنطق من السلطات التي تمثلها كلمة (الوالي)، "إذنْ فالمعادل الموضوعي لعبة استبدال لغوية للتعبير المباشر عن العاطفة وسلسة متراصة من التلميحات والتلويحات التي تسهم في تدفق الدلالة المرجوة، وتحقيق الإثارة المبتغاة في المتلقي بطريقة غير مباشرة "[28]، وهو ما أوجده الشاعر في استبداله المعنى المقبول منطقياً مع المعاني التي تخلق الدهشة والسخرية في آنٍ واحدٍ .

4- **التشبيه**:

تختلف صور التشبيه عند أحمد مطر فهو يميل إلى التصريح والتوضيح، في بيان العلاقة بين المشبه والمشبه به، فعادة ما يضع المشبه والمشبه به في مقارنة "فالتشبيه محض مقارنة بين طرفين متمايزين لاشتراك بينهما في الصفة نفسها وحقيقة جنسها مرة، ومرة في مقتضى الحكم لها"[29] . فهو يؤكد على تعدد أوجه الشبه، بل يمكن أنْ يأخذ بيان وجه الشبه صورًا متعدّدة من صور القصيدة . ومن ذلك ما جاء في قصيدة (زمن الخراف)[30]

نزعم أنَّنا بشر لكنَّنا خراف
ليس تماماً إنَّما في ظاهر الأوصاف .
نقاد مثلها ؟ نعم، نذعن مثلها ؟ نعم، نذبح مثلها ؟ نعم .

ثم ذهب الشاعر إلى بيان أوجه الاختلاف بين البشر والخراف بأسلوب تهكمي مظلم، ليصل إلى نتيجة يقدم فيها سؤالاً ختامياً لقصيدته، يقول فيه: "هل نستحق يا ترى تسمية الخراف"[31]، ومن الجدير بالذكر أنَّ الشاعر جعل من التشبيه والاختلاف – بعد خلقه لمعادل موضوعي – أداتين استطاع بوساطتهما الوصول إلى نتيجته التي أراد منها توبيخ الأمة . وفي معادل موضوعي آخر خلق الشاعر نصاً حوارياً بين الفيل والنملة في قصيدة (خلق)[32]، أراد منه أن يضع هذا المعادل موضع تشبيه بلاد العرب وسياستها مع اسرائيل التي نخرت قلب الأمة العربية، فجعل الحوار على لسان النملة وهي تخاطب الفيل في قولها[33]:

غيري أَصغر، لكن طلبت أكثر مني
غيرك أكبر، لكن لبى وهو ذليل
أي دليل ؟
أكبر منكِ بلاد العرب، وأصغر مني إسرائيل .

ففي هذا النص نجدُ التشبيه مُغايرًا لصوره المعتادة، الذي لا يعتمد وجود أداة التشبيه أو تقديرها، وقد أفاد من هذه الصورة باستعمال مفردتي (التكبير، والتصغير) لبيان التشبيه مع تعظيم شأن المفارقة .

وفي قصيدة بعنوان (الإبريق) قال[34]:

لا يملك مما يحمله بلَّة ريق .
الإبريق صدىءٌ، فارغٌ ضمآنٌ، متسخٌ
وعلى طول العمر يريق
ما يحمله للتنظيف وللإرواء وللتزويق، الإبريق
صورتنا: إذ نُهرَق شهداً للرومان والإغريق .

وهو هنا يصرح بهذه الصورة التي خلقها معادلاً موضوعيًا في أنها مطابقة لصورتنا قاصدًا بها العرب، وقد أورد التشبيه بذكر حال الإبريق وعمله، ثمّ أوجز القول بذكر المشبه الذي جعله شيئًا آخرًا . ومن الجدير بالذكر أنَّ الشاعر استنكر التشبيه الذي أوجده في قوله[35]:

يَتَهادَى في مَراعيهِ القَطيعْ
خَلفَهُ رَاعٍ، وَفي أعقَابِهِ كَلبٌ مُطيعْ
مَشْهَدٌ يَغْفُو بِعَيْنَي وَيَصحُو فَي فُؤادي .
هَلْ أسَمّيهِ بِلادِي ؟!
أبلادي هكذا ؟
ذاك تشبيهٌ فظيع

إلاّ أن هذا الاستنكار جاء بمفاجأةٍ، إذ وجد الشاعر أنّ بلادهُ وصلت إلى ما هو أسوأ مما يتصف به القطيع، وهو يشير – قبل المفاجأة – أنَّ من الأولى أن يكون استنكاره لوجه الشبه غير المناسب بين بلاده والقطيع وأن يستنكر هذا التشابه حباً ببلاده، ثم يأتي بالصدمة التي أراد بينها، إذ وجد أنّ ما عند القطيع أفضل مما هو موجود في بلاده، ويتضح ذلك في المقارنة بين وضع القطيع ووضع البلاد، قال[36]:

فهنا يدرجُ راعٍ رائعٌ
في يدهِ نايٌ
وفي أعماقه لحنٌ رفيعٌ
وهنا كلبٌ وديعٌ

لم يكن أحمد مطر بعيداً عن الواقعية، بل قام بمحاكاة الواقع في البحث عن الصور المماثلة لأوضاع البلد السياسية والاجتماعية التي تأثرت بالظلم والفساد، ليتساءل (أبلدي هكذا ؟)؛ ليكون الجواب:

كلا ... فراعيها مريع .
ومراعيها نجيع
ولها سورٌ وحولَ السورِ سورٌ حوله سورٌ منيع
وكلاب الصيد فيها، تعقر الهمسَ وتستجوب أحلامَ الرضيعَ .

إنّ هذا التأكيد بتكرار كلمة (سور)، وبوصف أساليب الظلم كانت من أدواته التي يحاول بوساطتها وصف الضغوطات التي مورست في عصره، فقد أصبح حال الإنسان أسوأ من حال الحيوانات، ومن الجدير بالذكر أنّ الشاعر كان حريصاً على اختيار حيوانات يستنكر الإنسان أن يوصف بها، من أجل زيادة التأثير في المتلقي، لعلّ ذلك يكون سبباً للنهضة على الظلم، وفضح الظالمين آنذاك .

5- المفارقة:

يعمد الشاعر إلى توظيف الأساليب الفنية التي يمكن لها أن تؤثر في المتلقي، ومن أهم هذه الأساليب (المفارقة) التي تعرف بأنها بنية أسلوبية موضوعها الأساس هو التضاد، ووظيفتها الرئيسة هي تحقيق الدهشة لدى المتلقي خلال كسر توقعاته، وتحتل حداً فاصلاً بين ضدين، وتفصح عن نفسها من دون أن تذكر صراحة، بل يلجأ القول المفارق إلى التلميح والإشارة[37]

ومن وجهة نظر أخرى تعني المفارقة قول شيء والإيحاء به عن طريق قول نقيضه، وأداتها المجاز والانحراف الأسلوبي[38]، وعلى هذا النحو جاءت المفارقة في شعر أحمد مطر ليصور لنا سوء الحال بخلق معادل موضوعي ساخر . قال الشاعر:[39]

رأيتَ جرذاً
يَخْطبُ اليومَ عن النظافة .
ويُنذر الأوساخ بالعقاب

وحوله يصفق الذباب

ففي هذا النصّ نجد أنَّ المعاني لا يمكن أن تتطابق مع منطق العقل من دون انزياح فهم المتلقي مع انزياح لغة الشاعر للوصول إلى معانيه التي أراد إيصالها، وقد أفاد من استعارة المسميات لخلق مشهد المعادل الموضوعي، فقوام هذا المعادل الموضوعي المفارقة التي تكونت من استعارة أدوار كشف بها الشاعر عن حقيقة الواقع السيّئ .

وفي قصيدة أخرى، أفاد الشاعر من وجود التضاد في خلق المفارقات في إحدى نصوصه، فجمع بين (الحيّ والميت، والحياة والمعاد، والاقتراب والابتعاد)، فأوجد معادلاً موضوعياً في قوله[40]

أنا حيٌ ميتٌ دون حياةٍ أو معاد
وأنا خيطٌ من المطاط مشدودٌ
إلى فرع ثنائي أحادي
كلَّما ازددت اقتراباً
زادَ في القرب ابتعادي
يستوي فيها انحيازي وحيادي

فوجود هذه التناقضات يمكن أن تثير الدهشة في ذهن المتلقي، ومع انزياح فهم المتلقي يمكن فهم النص على غير معناه المكتوب أو المنطوق، فالشاعر يعبر عن حالة مأساوية هي أسوأ من الحياة أو الموت فقد اختلطت عليه الأمور حتى أصبح الاقتراب يؤدي إلى الابتعاد وهو ضده وهي مفارقات الفانتازيا؛ لأنَّ "الفانتازيا تختص بالتردد بين تفسير طبيعي، وآخر فوق طبيعي الأحداث المعلن عنها، فطالما يعيش المتلقي حيرة التفسير هذه يظل في الفانتازيا لا يبارحها"[41] .

وعلى هذا النحو يمكن القول: إنَّ أحمد مطر أفاد من أساليب متنوعة (التناصّ القرآني، والموازنة، والصورة الشعرية، والتشبيه، والمفارقة) في خلق المعادل الموضوعي الأكثر تأثيراً من النص المباشر الدال على المعنى الحقيقي، فضلاً عن أنَّه أفاد من المجاز والاستعارة بوصفهما أساليب بلاغية، للوصول إلى القصد المراد إيصاله للمتلقي .

الهوامش

([1]) يُنظر: ت. س. إليوت اليباب (الشاعر والقصيدة)، د . عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1400هـ - 1980: ص27، وينظر: المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام، د . فوزية علي زوباري، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد (87) الجزء (2): ص478 .

([2]) يُنظر: فضاءات المعادل البصري في السرد العربي المعاصر، إحسان عباس، دار الثقافة والإعلام، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2007م: ص21 .

([3]) فضاءات المعادل البصري في السرد العربي المعاصر: 21 – 22 .

([4]) ينظر: المبدأ الحواري، دراسة في فكر ميخائيل باختين، تودوروف، ترجمة فخري صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1992، ص92.

([5]) ينظر: التعالق النصي في خطاب الامير بدر بن شاكر، د مهند كريم سلمان، بحث منشور في كلية التربية لبنات جامعة الكوفة العدد الخاص ببحوث المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية 2017 المجلد الثالث ص328 .

([6]) أحمد مطر، الأعمال الكاملة، تقديم: الحسيني معدِّي، ط1، دار الخلود للنشر والتوزيع، 2013م: ص7 .

([7]) سورة طه: الآية (69) .

([8]) سورة الشعراء: الآية (63) .

([9]) سورة طه: الآية (43) .

(10) سورة التوحيد: الآية (1) .
(11) ماتيسن، إليوت الشاعر الناقد، 88 -99 .
(12) أحمد مطر، الأعمال الكاملة: ص75 .
(13) سورة المائدة: آية (27 – 30) .
(14) أحمد مطر، الأعمال الكاملة: ص105 .
(15) سورة المسد: الآية (1-5) .
(16) الأعمال الكاملة، أحمد مطر: ص165 .
(17) سورة طه: (77 – 78)
(18) أحمد مطر، الأعمال الكاملة: ص149 .
(19) سورة يوسف: الاية (43) .
(20) الأعمال الكاملة، أحمد مطر: ص149 .
(21) سورة يوسف الآية (36) .
(22) أحمد مطر، الأعمال الكاملة: ص14 .
(23) المصدر نفسه، ص162 .
(24) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلي، القاهرة، 1939، م5: 394/1 .
(25) أحمد مطر، الأعمال الكاملة: ص88 .
(26) المصدر نفسه، ص157 .
(27) المصدر نفسه، ص250 .
(28) المعادل الموضوعي في النقد الأنجلو – أمريكي الجديد - دراسة في المصطلح والمفهوم، والمرجعيات، أحسن دواس، مجلة الأثر، العدد26، 2016: ص50 .
(29) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة صححه وعلق على حواشيه السيد، محمد رشيد رضا، (د.ط)، دار المعرفة بيروت لبنان ، (د. ت):ص 78 .
(30) أحمد مطر، الأعمال الكاملة: ص15 – 16 .
(31) المصدر نفسه، ص15 .
(32) المصدر نفسه: ص29- 30 .
(33) المصدر نفسه : 29 .
(34) المصدر نفسه : 278 .
(35) المصدر نفسه، ص300 .
(36) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(37) ينظر: المفارقة في القصص الستيني العراقي: محمد ونان جاسم ، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2000 : ص1، والمفارقة في شعر المعري، د. حسن عبد راضي، ط1، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة والأدب، بغداد، 2013م: ص13 .
(38) يُنظر: المفارقة في القصص الستيني: ص3 .
(39) الأعمال الكاملة :280 .
(40) سعدي، 2013: ص369 .
(41) السخرية في أدب الجاحظ، عبد الحليم محمد حسين، ط1، دار الجماهير للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1988م: ص7 .

المصادر و المراجع

1. القران الكريم.
2-ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1939 .
3-الأرض اليباب (الشاعر والقصيدة)، ت . س . أليوت: د. عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1400هـ – 1980 .
4-أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، صححه وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا، (د، ط)، دار المعرفة، بيروت - لبنان (د، ت) .
5-الأعمال الكاملة، أحمد مطر، تقديم الحسيني معدّى، ط1، دار الخلود للنشر والتوزيع، 2013 م.
6-جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن دريد الأزدي (ت321 هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، 1987م .
7-التعالق النصي في خطاب الامير بدر بن شاكر، د مهند كريم سلمان، (بحث منشورفي العدد الخاص ببحوث المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية 2017) جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، المجلد الثالث ص328 .
8-السخرية في أدب الجاحظ ، عبد الحليم محمد حسين، ط1، دار الجماهير للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1988م .
9-فضاءات المعادل البصريّ في السرد العربي المعاصر، إحسان عباس، دار الثقافة والإعلام، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2007م .
10-المفارقة في شعر المعري ، د. حسن عبد راضي، ط1، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة والأدب، بغداد، 2013م .
11-المفارقة في القصص الستيني العراقي، محمد ونان جاسم، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2000 م .
12-المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام، د. فوزية علي زوباري، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد (87) الجزء (2) .
13- المعادل الموضوعي في النقد الأنجلو- أمريكي الجديد ، دراسة في المصطلح والمفهوم والمرجعيات، أحسن دواس، مجلة الأثر، العدد 26، 2016م .

For Sources and references

1- The Holy Quran.
2- Ibn Al-Atheer, The current Proverb in the Literature of the Writer and Poet, achieved by Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Al-Halabi Press, Cairo, 1939 .
3- The Waste Land (The Poet and the Poem), t. s . Elliot: Dr. Abdul Wahed Lulu'a, The Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st Edition. 1400 AH - 1980 AD: 27. 4.
4- Complete Works, Ahmed Matar, presented by Al-Husseini Maadi, 1st Edition, Dar Al-Kholoud for Publishing and Distribution, 2013 AD .
5- Quoting from the Holy Qur'an in Arabic Poetry, Abd al-Hadi al-Fikai, 1st Edition, Dar al-Numeir Publications for Printing and Publishing, 1996 AD.
6- Asrar Al-Balagha, Abdul Qaher Al-Jarjani, corrected and commented on the footnotes of Mr. Muhammad Rashid Rida, d. i. House of Knowledge, Beirut, Lebanon, d. T .
7- Jamharat al-Arab, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan Duraid al-Azdi (died: 321 AH) Investigator: Ramzi Munir Baalbaki, 1st Edition, Dar Al-Ilm for Millions, 1987 AD.
8- Irony in the Literature of Al-Jahiz, Abdel Halim Muhammad Hussein, 1st Edition, Dar Al Jamahir for Publishing, Distribution and Advertising, Libya, 1988 AD.
9- Prospects of the Visual Equivalent in Contemporary Arab Narration, Ihsan Abbas, House of Culture and Information, 1st Edition, United Arab Emirates, 2007 AD: 21.
10- The Objective Equivalent in the New Anglo-American Criticism, A Study of the Term, Concept and References, Ahsan Dawas, Athar Magazine, No. 26, 2016 AD ..
11- The objective equivalent in the praises of Abi Tammam, d. Fawzia Ali Zobari, Journal of the Arabic Language Academy in Damascus - Volume (87) Part (2): 478.

12- Paradox in the Iraqi Sixties Stories, Muhammad and Nan Jassim, Master Thesis, College of Education, Al-Mustansiriya University, 2000 AD.
13-The paradox in the poetry of Al-Maarri, d. Hassan Abd Radhi, 1st Edition, from the publications of the Baghdad Capital of Culture and Literature Project, Baghdad, 2013 AD.

Saleem Qasem Z'aych
Ministry of Education / Directorate of Education / Al-Risafa 3
Master of Arabic Languge / Literature branch
Saleempassim22@gmail.com

Abstract:

The concept of our study can be summed up in clarifying the term (objective equivalent) which the poet Ahmed Matar adopted in his poetry to reach the meanings he wanted to create to be a corresponding image through his tools that benefited him in creating the image. The meaning provided by the objective equivalent, and it is created by balancing corresponding to the real images to be described, and the objective equivalent included in (Qur'anic quotation, equilibrium, poetic image, simile, comparison.
Key words: Objective Correlative , Declaration and clarification
Poetic and innovative image.